وبعد ان انتهينا من الاشارة الى النشاط الفكري للجزء الشرقي والمتمثل في الحضارة الاغريقية لا بد من متابعة البحث لمعرفة دور الجزء الغربي ومع ان الكثير من الباحثين في هذا المجال يجمعون بين الفكرين ويعتبرونه فكراً واحداً الا انه في الواقع هنالك خصائص لكل من الفكرين .

في الاسس والاتجاه ، التقينا في نقطة خارج ارضهما فكانت تلك الارض حلقة الوصل .

فالتقاء الحضارتين الاغريقية والرومانية في مهد الحضارة القديم وادي النيل كان له الاثر الكبير في ازالة الفوارق بين اتجاهات تلك الحشارات واخضاعها الى التوجه الحضاري الاصيل حتى اصبحتا تكونان حضارة واحدة بسبب وحدة البيئة .

والرومان عبارة عن قبائل « هندية اوربية » كانت في اول امرها تعيش عيشة همجية كما كان الحال في قبائل الفرس والاغريق .(١)

تعلمت الاس الحضارة من المجموعات التي كانت تقطن البحر المتوسط قبل وصولها وخضعوا اول امرهم لملوك تلك المجموعات الا انهم انتقلوا الى دور دويلات المدن في روما في حدود ٥٠٨ ق . م .

وكانت مشابهة لدويلات المدن التي نشات في الحضارة الاغريقية ولما كان التاريخ الروماني اوسع من ان يوجز في سطور فلنعد الى صلب بحثنا المتعلق بالمعرفة الجغرافية .

كانت الجغرافية هي العلم الوحيد الذي استطاع ان يجتذب انتباه الرومان ويثير اهتمامهم فبعض الكتاب من الرومان افاد من الحقيقة الجوهرية الخاصة بالارض وهي كونها كرة غير ان الاعتقاد يوضع الارض في مركز الكون استمر سائداً .

ويمكن اختصار الفكر الجغرافي الروماني بانه فترة امتداد للفكر الجغرافي الاغريقي برزت فيه آراء علمية تتمثل في التعديل والاضافة سواء كان في مجال الجغرافية الرياضية ، والفلك ، اما في مجال اتساع الافق الجغرافي فقد اكد العلماء الرومان وناقشوا ما جاء به العلماء الاغريق خاصة بعد ان اصبح لهم مجال المقارنة الماخوذ من بيئتهم الجديدة واستنباط علومها القديمة .
وقد برز العديد من اعلام الفكر الجغرافي في العصر الروماني نذكر منهم

---

(١) طه باقر ، نفس المصدر ، جـ ٢ ، ص ٢٠٠

١) يوليوس قيصر :

شهدت الامبرطورية الرومانية حروباً طاحنة خلال القرن الاول قبل الميلاد وكان من نتائج تلك الحروب بروز بعض الشخصيات وكان اعظمهم يوليوس قيصر الذي ولد في شهر يوليو عام ١٠٠ ق . م ، وقد سمي هذا الشهر باسمه فيما بعد ومن الاهتمامات العلمية التي برزت لديه اهتمامه بعلم الجغرافيا .

ويعود سبب ذلك الى الترابط القائم بين علم الجغرافية والفتوحات العسكرية التي قام بها يوليوس قيصر في بلاد الغال ، وقد زود الجغرافيا بمعلومات مهمة عن كل من بريطانيا والمانيا ، حيث كانت بريطانيا قبل ذلك تعتبر من الاقطار الخرافية ولكن بعد ان غزاها يوليوس قيصر عامي ٥٥ ، ٥٤ ، ق . م قام بتسجيل الكثير من المعلومات الجغرافية الخاصة بالخصائص العامة للاقليم وطبيعته الطوبغرافية وعادات السكان .

٢) بليني (Pliny)

يمتاز بليني بانه جمع بين خصائص متعددة ، وكان من نتيجة ذلك ان كتاباته كانت متنوعة وفي مختلف الموضوعات ، فكتب في تاريخ الحروب ومما ينسب الى بليني انه اول من حاول كتابة دائرة معارف عن الطبيعة بسبعة وثلاثين كتاباً ، خصص اربعة كتب منها للجغرافيا ، برزت فيها دراسة السواحل التي قام بمشاهدتها والكتابة عنها حيث انه استخدم الاسلوب التطبيقي ، فقد قام بجولة من جبل طارق زار فيها الكثر من السواحل الغربية منه .

٣) بطليموس (Ptolemaeus)

وعند ذكر بطليموس لا بد من شرح الجوانب المهمة في فكره ونشاطه العملي وبطليموس من اصل اغريقي عاش في الاسكندرية وعمل فيها ، ويعتبر بطليموس في الحقيقة معبراً حياً بين الجغرافية القديمة والجغرافية الحديثة ، قام بوضع المصنفان الكبيران احدهما في الفلك وهو عبارة عن ثلاثة عشر مقالاً وتعرف باسم « الجامع » .

والكتاب الثاني المرشد الى الجغرافيا والذي اشتهر فيما بعد « جغرافيا » والذي تناول فيه دراسة العالم المعروف وتقسيمه الى قارات وتقسيم القارات الى اقاليم .

اهم خصائص الفكر الجغرافي الروماني :

برزت بعض الخصائص المرتبطة بالفكر الجغرافي الروماني ، تمثلت في الجوانب الفلكية والرياضية والجغرافية الطبيعية والاقليمية ، بسبب اتساع الافق الجغرافي الروماني الناتج عن اتساع رقعة الدولة السياسية واهم هذه الخصائص : ـ

١) نظام الكون :

اعتقد بعض المفكرين الرومانيين ان الكون سرمدي خالد وان النجوم مقدسة ولها تاثير كبير على حياة البشر ، وان الشهب والنيازك توضح مستقبل الشعوب على سطح الارض . وحتى بطليموس الذي اشتهر كعالم جغرافي فقد اكد على تاثير النجوم والكواكب على الاشخاص والبلاد ، كما انهم اهتموا بدراسة الشمس باعتبارها المؤثر الرئيس على الكثير من المظاهر الارضية كما اهتموا بدراسة القمر واعتبروه ارضاً لان الشمس تترك نصفه في الظل وقالوا بان القمر قريب جداً من الارض وانه اصغر منها ، اما الارض فمن حيث موضعها في الكون اجمع كافة الباحثين الرومان بانها كروية الشكل ومستقرة في مركز الكون ، وقال بعضهم انها تدور حول محورها .

٢) الخصائص العامة لشكل العالم المعروف :

اعتقد الرومان بصغر حجم الكرة الارضية بالنسبة للكون الفسيح وبالتالي اتضح مدى صغر مساحة العالم المعروف والمعمور على سطح الارض بالنسبة للكرة الارضية ، وبذلك بدا التفكير بامكانية وجود اجزاء من الكرة الارضية لازالت غير معلومة ومن المحتمل ان تكون آهلة بالسكان ، وبالنظر لتعذر الملاحقة في المحيطات التي تفصل بين الكتل اليابسة يتعذر الوصول الى تلك المناطق .

ومن المناطق التي كان يعتقد انها موجودة القارة الجنوبية التي تمتد حتى القطب الجنوبي ، ومن الذين اشاروا الى تلك القارة بطليموس الذي تصورها انها من الكبر بدرجة تغلق المحيط الهندي من الجنوب ليصبح بحراً داخلياً . كما انهم زعموا بوجود قارة في المحيط الغربي (الاطلسي) حيث يوجد متسع على سطح الكرة الارضية يتسع لوجود كتلة يابسة كبيرة الحجم ، وقد وصف بطليموس تلك القارة المجهولة « ان الجزء غير الآهل بالسكان من الارض يحده من الشرق بلاد مجهولة تقع على طول المنطقة التي تشغلها الامم الشرقية من آسيا الكبرى وامم الصين والامم

ة احمد محاو الباب الامامي

المنتجة للحرير، ومن الجنوب البلاد المجهولة التي تمتد حول البحر الهندي لتغلقه، وكذلك تحيط باثيوبيا ممتدة جنوبي ليبيا حتى اوربا ومن الشمال امتداد نفس المحيط الذي يطوف الجزر البريطانية[1]

٣) المجموعات البشرية المجهولة :

اشار الفكر الجغرافي الروماني الى وجود مجموعات بشرية تعيش في المناطق المجهولة، فقد تصور « قراطيس » محيطين متقاطعين احدهما مستعرض (استوائي) والاخر طولي (قطبي) يقسمان الارض اربع جزر عامرة آهلة بالسكان تتمثل في ارض البشر الذين يسيرون معتدلين. وهم عبارة عن كائنات بشرية شقراء البشرة ولهم صور خيالية ولكنهم من نسل الملائكة وهذا القسم تمثله قارة امريكا الشمالية ثم ارض البشر الذين يسيرون مقلوبين (على الوجه المقابل لنا من الإرض). وهذا القسم تمثله قارة امريكا الجنوبية، ثم ارض البشر ذوي البشرة السوداء وهذا القسم تمثله قارة تمتد فيما وراء المحيط الاستوائي الواقع جنوبي افريقية، اما الجزيرة الرابعة فهي العالم المعمور المعروف لذلك العصر.

٤) التوجه نحو الدراسات الطبيعية

اتجه الرومان اتجاهاً طبيعياً يميز فكرهم الجغرافي عن غيره، فقد شملت دراستهم الطبيعية مجالات متعددة، منها دراسة ظاهرة الزلازل والبراكين وقد فسر بعض علمائهم بانها تحدث نتيجة للهواء المضغوط الذي يزداد ضغطه فيهز الارض ويحدث فيها عيوباً، كما انهم اشاروا الى حدوث تغيرات في سطح الارض ادت الى ظهور بعض الاجزاء واختفاء اجزاء اخرى، ولكونهم امة بحرية فقد شغلتهم ظاهرة المد والجزر وفسروها بتفسيرات عديدة جاء من بين تلك التفسيرات ربطها بظاهرة اوجه القمر. كما انهم اهتموا بالدراسات المناخية وعلاقتها بدوائر العرض.

و ـ الفكر الجغرافي في الحضارة الصينية

من المرجع كثيراً ان الحضارة الصينية او حضارة الشرق الاقصى من الحضارات الاصلية التي نشأت من الاطوار البدائية في العصر الحجري الحديث في الصين نفسها، ولا يستبعد انها تاثرت بعض الشيء بحضارات الشرق الادنى، ومهما كان

(١) شريف، نفس المصدر، ص ٤١٠

مكتبة احمد
مجاور الباب الامامي

الحال فانها بلغت طور نضجها في وادي النهر الاصفر الاسفل منذ منتصف الالف الثاني ق . م[1]

لقد عرفت الصين الزراعة منذ اواخر العصر الحجري الحديث او المتأخر حيث عرفت زراعة الحبوب ولا سيما الرز ، وتدجين الحيوان كالخنزير والبقر ، كما عرفت حضارة الصين فن التعدين فاستخرجوا البرنز واستخدموا دولاب الخزف والكتابة الصورية واستعملت العربات ، كما انهم استخدموا الحرير في صناعة الملابس ، في حين اعتمدت حضارة الشرق الادنى على استخدام القطن والعنب في صناعة النسيج .

هذا التوجه الحضاري القائم على اساس استخدام الزراعة والتي تقوم على اساس معرفة البيئة ومتطلبات الارض ، كان العامل وراء الاهتمام المبكر للفكر الجغرافي والخرائط .

والطبيعة الجغرافية للصين كان لها الاثر وراء ذلك الاهتمام ، فالصين في موقعها الجغرافي تحيط بها مساحات عظيمة من المرتفعات من ناحية اليابس ، كما ان البحر يحيط بها على هيئة قوس عظيم ، اضافة الى وجود ظاهرة الانهار العظمى حيث تخترقها ثلاثة انهار كبرى تنبع من الهضبات الداخلية ، وتجري نحو البحر ابعدها شمالاً هو نهر « هوانج هو » (Hwang Ho) وهو يجري في اكثر اجزاء الهضبة انخفاضاً من جهة الشمال ، اما نهر « يانجتسي » (Yangtze) و « سيكيانج » (Sikiang) فانهما ينبعان من هضبة التبت العظيمة الارتفاع .

اضافة الى الظواهر الجغرافية فان الصين تتمثل فيها بيئات مناخية متباينة بين الشمال والجنوب والغرب . ففي الوقت الذي يسود فيه المناخ الموسمي في الاطراف الجنوبية نجد الاطراف الشمالية الشرقية يسود فيها مناخ يخالف ما يسود الاجزاء الغربية .

هذه العوامل البيئية دعت سكان الصين القدماء الى معرفة المؤشرات البيئية والعمل على تذليل صعوباتها ، خاصة وان الطابع العام لحضارة الصين طابع زراعي يعتمد على التفاعل مع الظواهر البيئية .

ومن الممكن ابراز اهم الجوانب للفكر الجغرافي الصيني ، فالجوانب الفلكية شملت على اساطيرهم التي حفل بها تراثهم القومي ذلك ان اساطيرهم تضمنت اشارات الى بيضة العالم .. (The World Egg) وكذلك انفصال السموات والارض

---

(١) طه باقر ، مصدر سابق ، جـ ٢ ، ص ١٠٣

بعد ان كانتا رتقا . كما اشارت الاساطير ايضاً الى البحر المحيط بما فات الارض ، وكانوا يخيلون الارض اقرب الى الشكل المربع منها الى القرص المستدير .(١)

اما في مجال الافق الجغرافي ، ففي مجال اليابس تركزت في آسيا ، حيث قام رحالة صينيون بجولات واسعة النطاق ، زاروا خلالها الكثير من الاقطار الاسيوية وخاصة تلك الاقطار المحيطة بالصين .

ومن اوائل الرحالة الصينيون الذين حاولوا الوصول الى الاقطار المجاورة (شانج كين) (Chang Klen) الذي وصل الى فرغانة بعد ان وقع في الاسر لمدة عشر سنوات ، عاد بعد ذلك الى الصين عن طريق التبت عام ١٢٨ ق . م ، وقدم تقارير مهمة ساعدت على فتح طرق الحرير التي تمر في « جوبي » (Gobi) .

ومن الرحالة الصينيين المشهورين (Hsuan Tsany) وهو مغامر بوذي وجد تناقضاً في كتب البوذية المقدسة فاراد الاتصال بالغرب لكي يستوضح الحكماء لفهم بعض التعاليم .

بدأ رحلته عام ٦٢٩ حيث عبر صحراء « جوبي » ثم جبال تيان شأن فكافقند فسمرقند ، ثم واصل سفره حتى اجتاز نهر جيحون ثم واصل سفره الى بلخ ، وبعد ذلك عاد ، اتجه شرقاً فعبر المناطق المرتفعة ثم اجتاز ممر خيبر الى قندهار .

وفي مجال البحر كانت هنالك رحلات بحرية قام بها البحارة الصينيون حتى وصلوا الى نهر الفرات .

ان علاقة الصين بالغرب عن طريق البحر انما نشات اساساً بفضل شجاعة الملاحين العرب الذين هم كانوا ذوي خبرة عظيمة بركوب البحر ودراية بالمسالك البحرية اللاحقة في المحيط الهندي وما يتصل به من بحار ، وان اقدم اشارة الى قيام السفن الصينية برحلات بحرية انما وردت فيما كتبه المسعودي من انه في النصف الاول من القرن الخامس الميلادي كانت سفن من الهند والصين ترى بصفة دائمة في نهر الفرات عند الحيرة ، وفضلاً عن ذلك فان الحوليات الصينية التي يرجع تاريخها الى القرنين السابع والثامن الميلاديين تصف خط الرحلة من كانتون الى الفرات .(١)

---

(١) شريف ، ص ١٣١

(١) شريف ، مصدر سابق ، ص ١٣٨

وفي مجال رسم الخارطة فان الحضارة الصينية ساهمت في رسم الخارطة وتميزت الخرائط الصينية بنشأتها المستقلة الا ان تطورها كان بسيط بسبب عزلة الصين وعدم اطلاعها على خرائط الحضارات الاخرى . ويعزى سبب اهتمام الصينيين برسم الخارطة الى طبيعة الحياة الاقتصادية . فحياتهم تعتمد على الزراعة اعتماداً كلياً الآمر الذي تطلب ايجاد وسائل مسح لتحديد مساحة الارض الزراعية وتقسيمها ومد شبكات مياه الري .

ويمكن اعتبار الخارطة التي اوردها بالتفصيل المؤرخ الصيني سوماشين في كتاباته هي اقدم الخرائط والتي رسمت عام ٢٢٧ . ق . م .

ومع ذلك فان اعظم الخرائط الصينية القديمة هي الخريطة التي وصفها بي هسيو .

المبحث الثاني :

الفكر الجغرافي العربي قبل الاسلام

الباحث في تاريخ العرب وحياتهم قبل الاسلام يجد صعوبات كثيرة في الالمام بحقيقة الوضع الذي كانت عليه الامة العربية قبل الاسلام ، لان العرب في ذلك العهد لم يدونوا تاريخهم في كتب وصلت الينا لاسيما من كان منهم من سكان البادية انما كانوا يتناقلون ذلك شفاهاً عن طريق الرواية والشعر ولكن الباحث الراغب في كشف الحقائق يجد الكثير من الحقائق عن حياة العرب من الآثار التي تركوها خارج نطاق تسجيل احداث التاريخ .

والدارس للآثار العربية التي تمثل مرحلة ما قبل الاسلام يجد الكثير اذا ما قام بتحليل تلك الآثار .

* فالشعر الذي كان يمثل التاريخ لتسجيل احداثهم اليومية ، اجتماعية كانت ام اقتصادية ام سياسية ، غني باخبار تلك المرحلة خاصة وان الشعر العربي في هذه المرحلة قد وصل الى قمته من حيث صياغة الكلام وقوة التعبير وهذا ما نجده في جميع اشعار العرب قبل الاسلام .

* ويأتي في مقدمة شعرهم ما تركوه لنا في شعر المعلقات التي تمثل نخبة من قصائد اختارها العرب من شعر فحولهم وذهبوها على الحرير وعلقوها باستار الكعبة تشريعا لها وتعظيما لمقامها واعترافا بمكانة الفاضها وحسن سبك معانيها حتى اصبحت العرب تترنم بها في نواديها وتفتخر بها في حاضرها وبأدبها .(٢)

* اضافة الى ما تركوه من نثر وقول مأثور وامثال واحاديث تشير الى المرحلة المتقدمة التي وصلوا اليها في مجال الأدب واللغة .

* وفي مجال الحياة السياسية فقد توصل العرب الى نظم سياسية ثابتة تتوفر فيها مقومات الدول الحديثة من حيث السيادة والادارة والتنظيم . واحسن ما نشير اليه دولة سبأ ودولة حمير .

وقد اشادت الكتب الدينية والتاريخية القديمة الى هذه الدول والى النور الحضاري والاقتصادي المتقدم الذي وصلت اليه . فالدولة السبئية وحاضرتها مدينة

---

(٢) احمد الشنقيطي ، المعلقات العشر واخبار قائليها ، ص ٢

مأرب كانت مركزا للتجارة بين الهند والحبشة والشام والعراق .[1] وكانت تعتمد على تجارة البحر ، ولكن عندما اصبح طريق البحر غير مامون تحولت التجارة الى البر فكانت السلع تأتي من الهند والحبشة الى شواطي جزيرة العرب فينقلها السبئيون برا الى مصر والشام والعراق وكانت القوافل تسير من سواحل الجزيرة الى مأرب وتتجه شمالا الى مكة ومنها الى البتراء ثم الى غزة على شاطيء البحر المتوسط ، وكانت من نتيجة ذلك ان زادت ارباح الدولة السبئية وعظم شأنها فحفروا الترع وبنوا السدود وانشأوا القصور .

ومن المآثر التي اقامتها الدولة السبئية سد مأرب ودراسة سد مأرب بحد ذاته تعطي للباحث مصادر متعددة منها يستنتج قوة وسيطرة الدولة ، وتقدم الفكر الهندسي عند العرب وتطور الانتاج الزراعي ومعرفة جغرافية الاحوال البيئية وطبيعة انحدار الارض وانواع التربة ومقدار كميات المياه المتجمعة في الوديان .

وسد مأرب ليس هو السد الوحيد الذي اقيم في شبه الجزيرة العربية فهنالك اعداد كبيرة من السدود يصل تعدادها الى ثمانين سدا .

من دراسة الادب العربي والشعر خاصة ومن تحليل الآثار التي تعود لهذه المرحلة ، ومن مطالعة الكتب التي تناولت تاريخ هذه المرحلة من حياة الامة العربية يمكن القول ان الامة العربية في هذه المرحلة لم تكن امة جاهلة ، كما تمثلها فكرة اعداء الامة العربية والتي صورت لنا آثار هذه الامة ممثلة في المعارك والقتال المستمر لابسط الامور بل كانت بعكس ذلك امة ذات حضارة وادب وسياسة وتجارة واقتصاد ثابت ، ولو كانت عكس ذلك لاصبحت لقمة سهلة امام اعدائها .

وفي مجال الفكر الجغرافي العربي لهذه المرحلة يمكن الاشارة الى حقائق جغرافية تدل على فكر جغرافي متطور .

١) معرفة بيئة الانسان المحيطة به :

امتاز الفكر الجغرافي العربي لهذه المرحلة بسعة معرفة الانسان لبيئته فالعربي في شبه الجزيرة العربية يشمل بسعة افقه جميع اطراف الجزيرة العربية ويصف تلك الاطراف ويقارن ما بينها ويستدل شعابها واوديتها وانهارها . فطرفه بن العبد

---

(١) احمد الاسكندري ، المفصل في تاريخ الادب العربي ، ص ١٦ .

صاحب المعلقة الثانية والذي عاش في البحرين اتسع افقه حتى شمل العراق وكل الجزيرة العربية .

واتـــلـــع نـــهاضٌ اذا صـــعدت بـــه
كـــــكان يوصـــي بدجـــلة تـــصـــعد

وهنا لا بد من الاشارة من ان الادب العربي في هذه المرحلة انفرد في هذا المجال من بين آداب العالم ، اذ كما هو معروف فان القالب الاساسي للقصيدة في الشعر العربي . ان اولها ينفرد عادة لذكر المحبوب وديارة ووصفها والذي يعرف عادة بالنسيب ، وكثيراً ما ورد فيه ذكر لاكثر من موضع او موضعين جغرافيين يمكن في اغلب الاحوال تحديد موقعها .

٢) الاهتمام بمعرفة الانواء الجوية :

* اهم الظروف الطبيعية التي تجابه العربي في جزيرته قساوة المناخ ، فمناخ جزيرة العرب تسوده الطبيعة الصحراوية اذا ما استثنينا الزاوية الجنوبية الغربية المتمثلة في بلاد اليمن .

ونتيجة ذلك وجه سكان شبه الجزيرة اهتمامهم منذ اقدم العصور نحو معرفة الانواء الجوية . مواسم هبوب الرياح ، مواسم سقوط الامطار ، بدايات الفصول ونهاياتها ، ووحدوا زمن كل منها .

حتى انعكس ذلك في ادبهم وشعرهم . فلا تخلوا قصائدهم من ذكر الزياح والامطار والغيوم والعواصف وتجمع المياه ، قال الشاعر الاعشق في معلقته

كأن مـــشـــيـــتـــهـا مـــن بـــيـــت جارتـــهـا
مر السحابة لا ريث ولا عجل[١]

* وهنا نشير الى ظاهرة مهمة عرفها العرب منذ عصور متقدمة ، فقد امكنهم التنبؤ بحالة الطقس وتحديد فصول السنة الملائمة للزراعة نتيجة لخبرة طويلة الامد بمراقبة طلوع ومغيب نجوم معينة او ما يسمى بالغروب الكوني للمنازل القمرية .
وكان العرب يعرفون ذلك باسم النوء (الجمع انواء)[٢]

---

(١) احمد التنقيطي ، نفس المصدر ، ص ١١٧

(٢) كراتشكو فسكي ، تاريخ الادب الجغرافي العربي ، جـ ١ ، ص ٤١